مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 20 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2024 الصفحات 420 ـ 248

الافتراضات المسبقة للخطابات الحواريّة في المقامة الصنعانيّة للحريري

The Presuppositions of the Dialogical Discourses in Al-Hariri's San'ani "Maqama"

ظريفة ياسة[1]، * وردة مسيلي[2]

[1] *المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف/ ميلة (الجزائر)، darifa.yassa@ univ-batna.dz*

مخبر الدّراسات التراثية والثقافية.

[2] *المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف/ ميلة (الجزائر)، mecili38@gmail.com*

مخبر الدّراسات التراثية والثقافية.

تاريخ الإرسال: 08/ 04/ 2024 تاريخ القبول: 16/ 09/ 2024

الملخص:

يهدف هذا البحث الذي جاء بعنوان: "الافتراضات المسبقة للخطابات الحواريّة في المقامة الصنعانيّة للحريري"، إلى الكشف عن المضمر من الخطاب في المقامة، وكذا تبيان العلاقة التشاركيّة بين أطراف العمليّة الحواريّة، انطلاقا من الخلفيّة المعرفيّة التي تحكمهم، وتبيان تجلياتها في المقامة، ومدى تحكمها في الحوارات وتأثيرها عليها، وذلك من خلال الوقوف على مختلف الخطابات النصّية المشكلة لنسيجها اللّغوي بالوصف والتحليل حتى يتسنى لنا الغوص في ما وراء الظاهر المتجلي من المعني واستنطاقه لمعرفة المضمر من الدلالات التي تعبر عن الافتراضات المسبقة، التي أثبتت الدراسة حضورها القويّ في هذه المقامة.

الكلمات المفتاحية:

افتراض مسبق؛

خطاب؛

حواري؛

مقامة صنعانيّة؛

الحريري؛

ABSTRACT:

This research aims at revealing the implicit meaning of the discourse in the San'ani Maqama, clarifying the participatory relationship between the parties of the dialogical process based on the cognitive background that governs them, as well as showing the manifestations of this relationship in the Maqama and the extent of its rule in the dialogues and its impact on them. This could be achieved by descriptively and analytically examining the various textual discourses that form the linguistic fabric of the Maqama so that we can delve into what is behind the apparent meaning and investigate it to know the implicit meanings that express the presuppositions, which the study has proven to have a strong presence in this Maqama.

Keywords:
Pre-assumption,
discourse,
dialogue
San'ani maqama,
Hariri,

* ظريفة ياسة

1- مقدمة:

تعدّ الأبحاث التداوليّة من أهمّ الأبحاث التي كثرت حولها الدراسات الحديثة تنظيرا وتطبيقا؛ فجاءت الدراسات حافلة في هذا المجال، خاصة بعد أن كان التيار البنوي والتيار التوليدي التحويلي مسيطران على ساحة الدراسات اللّغويّة الحديثة، ليظهر بعد ذلك التيار التداولي الذي أفرزته إبستمولوجيات معرفيّة، الهادف إلى دراسة اللغة في الاستعمال، من خلال أدائها لوظيفتها التواصلية، معيدا الاعتبار للعامل غير اللساني، والسياقات والطبقات المقاميّة التي توظف فيها اللغة، وينجز فيها الخطاب، فكان ارتكازها بالتالي منصبا على المتحاورين وعلاقة بعضهم ببعض، والخطاب وسياقاته ومقاصده، والمعاني والافتراضات الضمنيّة فيه، وهذا ما يلخص العلاقة بين مقصد المتكلم، وما يريد إيصاله للسامع، وما يفهم من هذا المقصد، ومدى تأثير كل واحد منهما في الآخر كسلسلة تعالقيّة، تشكّل آليّة الخطاب أو التحاور.

ويعدّ مبحث الافتراض المسبق من أهم المباحث التداوليّة التي أثارت حفيظة الباحثين، واسترعت انتباههم بالبحث والتّقصي، نظرا لما تتيحه طبيعته الضّمنيّة الخفيّة المرتبطة بذهن المتحاورين، من إعمال للفكر وبحث عن استدلالات يحتاج المتلقي إلى تفسيرها وتأويلها بغية تحديد القصد والوصول إليه، وتفسير الكلام تفسيرا صحيحا فهذه الطبيعة الاستدلاليّة الضمنيّة التي يتميز بها، هي التي جعلته محط اهتمام الباحثين دراسة وتحليلا من جوانب مختلفة، محاولين استكناه تجلياته في الخطابات الشعريّة والأدبيّة، وتحديد دوره في تحقيق المقاصد.

جاءت دراستنا هذه لتسلط الضوء على أحد أنواع الخطابات الأدبيّة التي يطغى على أسلوبها الحوار القائم بين شخصيات افتراضيّة وشبه افتراضيّة، وهو فن المقامة وذلك من خلال "المقامة الصنعانيّة للحريري"، التي اتخذناها أنموذجا للدراسة نبتغي من خلالها الكشف عن المضمر من الخطاب في هذا النوع من الخطابات وكذا تبيان العلاقة التشاركيّة بين أطراف العمليّة الحواريّة، انطلاقا من الخلفيّة المعرفيّة التي تحكمهم وتبيان تجلياتها فيها، ومدى تحكمها في الحوارات وتأثيرها عليها، وذلك من خلال الوقوف على مختلف الخطابات النصّية المشكلة لنسيجها اللّغوي بالوصف والتحليل، حتى يتسنى لنا الغوص في ما وراء الظاهر المتجلي من المعنى واستنطاقه لمعرفة المضمر من الدلالات التي تعبر عن الافتراضات المسبقة، التي يفترض حضورها القويّ في هذه المقامة.

وترتكز إشكاليّة هذا البحث من هذا المنطلق على تساؤلات محوريّة أهمّها: ما مدى تأثير الافتراضات المسبقة على الخطابات الحواريّة في المقامة وتحكمها فيها؟ فيما تتجلى هذه الافتراضات المسبقة؟ وإلى أي مدى يمكننا الكشف عنها من خلال خطاب المقامة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سنقف بالتحلل والتقصي للتشكيل اللغوي الذي انبنت عليه المقامة، من أجل تحديد الافتراضات المسبقة فيها، ولا يتسنى لنا ذلك إلا من خلال بلورتنا لمجموعة المفاهيم النظريّة المتعلق بالبحث، كمفهوم الافتراض المسبق، أهمّيته، أنواعه.

2- مفهوم الافتراض المسبق:

يعدّ الافتراض المسبق من أهم المباحث المندرجة ضمن مبحث متضمنات القول وينطلق أصحاب نظريّة التواصل في نظرتهم للعمليّة التواصليّة من أن المعطيات الأساسيّة التي تنتقل بين المتكلم والمتلقي يفترض أن تكون معلومة لكنها غير صريحة لديهم، وتشكل هذه الافتراضات ما يعرف بالخلفيّة التواصليّة لتحقيق نجاح العمليّة، التي تكون محتواة في القول سواء كان هذا القول مثبتا أو منفيّا، لذا فالافتراض المسبق من هذا المنطلق هو عبارة عن معطيات، وافتراضات متعارف عليها بين أطراف العمليّة التخاطبيّة الواحدة[1]، ويعرفه جان سيرفوني بأنه ذلك: "الفعل الذي يفرض المتحدّث من خلاله على المتلقي علما من الخطاب، فالافتراض المسبق يتجلى في مكان المعجم، وفي كلّ تركيب، وهو يفتقر إلى علامات تسهل تحديده، وأنّه طالما يستحيل عزل هذا الفعل بخلاف الأفعال الأخرى عن الملفوظ لأنّه يدخل في بنيته الدّاخليّة، وطالما أنّ غالبيّة الملفوظات تجعل إنجازه أمرا لا محيد عنه، فإنّه من المستحيل قبول وجود تاريخ بالمعنى إن لم يكن بمثابة أفق أسطوري لبعض الخطابات"[2]، معبرا بذلك عن دور العلامات اللغويّة التي يحتويها القول في تحديد الافتراضات، وذلك بالانطلاق من هذا الظاهر الجليّ، إلى ما هو متضمّن من خلال ما تتيحه هذه العلامات، من بناء علاقة استدلاليّة تربطنا بما وراءها، فالافتراض المسبق إذا يتميز بالطابع الاستدلالي الذي يقودنا إلى الوصول إلى ما خفي من الكلام حيث يجمع بين القول وعدم القول، فهذه المعلومات وإن لم يفصح عنها المتكلّم جهرا إلاّ أنه يمكن القول بأنه أوردها بطريقة تلقائيّة آليّة في القول المتضمن لها بغض النظر عن خصوصيّته، وفي هذا تقول أركيوني: "تصنّف في خانة الافتراضات كلّ المعلومات التي وإن لم تكن مقرّرة جهرا...إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول الذي تكون مدونة فيه بشكل جوهريّ بغض النظر عن خصوصيّة النطاق التعبيري"[3].

ويذهب جورج يول في نطاق آخر إلى أنّ الافتراض المسبق: "شيء يفترضه المتكلّم، يسبق التفوه بالكلام أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلّمين وليس في الجمل"[4]، معتبرا إياه متعلقا بالمتكلم لا بالكلام لأنه يسبق عمليّة التلفّظ، ومرتبط بذهنيّة المتكلمين، فهو إذا لا يعبّر عنه في الخطابات بطريقة صريحة انطلاقا من كلمة أو عبارة أو نص بل المتكلمون وحدهم هم أصحاب هذه الافتراضات المسبقة، التي يفترض أن يكون المستمع على دراية بها من منطلق إنّها تعدّ جزءا من المعلومات التي يتم إيصالها له، وعليه فقط أن يؤولها استنادا إلى هذه المعاني الحرفيّة الظاهريّة التي تقدّمها له الألفاظ، مقرّا بعدم الاكتفاء به، لاجئا إلى "حساب تأويليّ يمكّنه من إدراك المعاني الضّمنيّة، حساب يفترض فيه الضرورة، ويتوسّم فيه القدرة على إبلاغه ضالّته"[5]، وهكذا تكون كلّ من عمليّتي الإنتاج والتفكيك قائمة بالضرورة تبعا لسياق عام يحكم عمليّة التخاطب، ينطلق منها المخاطِب المنتج للكلام الذي قد يخرجه صاحبه عن معناه الحقيقي إلى معاني ذهنيّة غير ظاهريّة، ويستند عليه المستمع المؤوِل لهذا الكلام انطلاقا من قدراته الاستنتاجيّة القائمة على جملة من الاستدلالات التي تخوله الوصول إلى ما يبتغيه من قصد، لأنّ الكلام في أصله يحتمل عدّة أوجه، تبعا لبنيته اللغويّة التي تخرج لعدّة معان، وبالتالي فكلّما كانت معرفة المستمع/ المتلقي بحيثيات العمليّة التخاطبيّة كبيرة، كلّما كانت حظوظ الفهم لهذا المؤوَل أكبر.

ويكون الافتراض المسبق وفقا لهذه الاعتبارات شيئا ضروريّ الحضور لا يمكن الاستغناء عنه، ذلك أنّ نجاح العمليّة التخاطبيّة يتوقف على وجود خلفيّات مشتركة، ولا يمكن لأي خطاب أن يكون ناجحا إلاّ بوجود افتراضات مسبقة بين المتكلّم والمستمع، لأنّها تمثّل الأرضيّة التي يقوم عليها كل خطاب.

3– أنواع الافتراضات المسبقة وتجلياتها في المقامة الصنعانية: سلك الباحثون في تقسيمهم للافتراض المسبق عدّة مسالك لاعتبار الوجهة التي ينظرون إليه منها، ومن بين الذين خاضوا في هذا الجانب نجد (جورج يول) الذي سنعتمد تقسيمه من أجل تحديد وتفسير الافتراضات المسبقة الواردة في المقامة السابقة الذكر، حيث إن (جورج يول) جعل الافتراض المسبق خمسة أنواع:

3-1- **الافتراض المسبق الواقعي:FACTIVE PRESPOSITION**[6]: وهو جملة المعلومات الافتراضية المسبقة التي تلي فعلا مثل:(يعلم)، و(يدرك)، و(ينتهي) مثل قولنا: يعلم الجميع أنه كان مريضا فالافتراض المسبق الواقعي لهذه الجملة هو الجملة النواة "كان مريضا" التي يرمز لها بالرمز(>>كان مريضا) * في حين تكون الجملة(>>الأمر مازال مستمرا) هي الافتراض المسبق للجملة (لم ينته الأمر بعد).

3–2–الافتراض المسبق المعجمي:LEXICAL PRESPOSITION:[7] يختلف الافتراض المسبق المعجمي عن الافتراض الواقعي حيث يكمن الافتراض المعجمي في تعبير المتكلم المتضمن مفهوما آخر قد يكون غير المصرح به عادة، أما الواقعي فيكمن في تعبير المتكلم الذي يفترض مسبقا صحة المعلومة المذكورة بعده.

وعلى هذا الأساس يكون الافتراض المسبق المعجمي هو جملة المعلومات التي يعسر فيها استعمال صيغ بمعناها المؤكد، على أساس أن معنى آخر غير مؤكد قد تم فهمه، فكلما ذكرنا أن شخصا ما تمكن من إنجاز شيء ما يصبح المعنى المؤكد أن ذلك الشخص نجح في عمله، والعكس فإذا ذكر أن شخصا آخر لم يتمكن من إنجاز شيء ما، يكون المعنى المؤكد أن ذلك الشخص لم ينجح في عمل[8]، غير أنه يمكن التعرف على هذا النوع من الافتراضات بمجموعة من المفردات المعجمية من قبيل (أقلع)، و(بدأ)، و(مجددا)، من مثل ما هو في الجدول الآتي:

الجدول 1: الافتراض المسبق المعجمي

الجمل	ما يقابها من افتراض المسبق
أ– أقلع خالد عن التدخين	أَ–(>>كان خالد مدخنا)
ب– رسب علي في الامتحان	بَ– (>>كان علي راسبا في الامتحان من قبل)
ج– بدأ العمال في التذمر	جَ– (>>لم يتذمر العمال من قبل)

نلاحظ أن الجمل الثلاث (أَ، بَ، جَ) تضمنت مفاهيم غير مذكورة في الجمل (أ، ب، ج)، وهذا ما دلت علية المفردات(أقلع، ومجددا، وبدأ).

3-3-**الافتراض المسبق البنيوي:STRUCTURAL PRESPOSITIO**:[9] وهو جملة الافتراضات المسبقة المستقاة من البنية التركيبية لأي جملة، حيث يكمن هذا النوع من المعلومات في جزء بسيط من التركيب الجملي، ويتجلى أ َ أ-متى رحل؟ ⟵ (>>رحل). على المعلومة التي يجهلها، وبذلك تكون المعلو ب- من أين اشتريت ملابسك؟ ⟵ (>>اشتريت ملابسك) مل الآتية توضح ذلك:

وقد عدّ (يول) جملة المعلومات الموالية للسؤال صحيحة بالضرورة لأن الافتراض المسبق (رحل) يلازم السؤال: متى رحل؟، غير أننا نشير في العربية إلى أن الافتراضات البنيوية تكون صحيحة إذا كان الاستفهام باسم من أسماء الاستفهام، أما إذا استفهم بـ (هل) فإن الاستفهام في هذه الحال يصبح استفهاما تصوريا لا يضمن حصول الشيء عادة.

3-4- **الافتراض المسبق غير الواقعي: NON –FACTIV PRESPOSITION**:[10] وهو جملة الافتراضات المسبقة التي يفترض عدم صحتها، وتصاحب عادة استعمال أفعال من قبيل (يحلم)، و(يتظاهر)، و(يتصور) فإذا قلنا:

أ-حلمي أنني مريض.

ب- تصورت أنني بأمريكا.

ج- يتظاهر أنه بريء.

كل هذه الجمل تحيل إلى افتراضات سابقة غير صحيحة، فقولنا:(حلمت أني مريض) يستلزم بالضرورة أن يكون الافتراض المسبق لها هو الجملة(>>لست مريضا)، وهو افتراض غير صحيح، والحال ذاته بالنسبة للجملتين (ب) و(ج) حيث يكون الافتراض المسبق لهما هو الجملتين(>>لم أكن مريضا) و(>>لم يكن بريئا) على التوالي.

3-5-الافتراض المسبق المناقض للواقع: COUNTER-FACTUAL PRESPOSITION: لا تكون الافتراضات المسبقة في هذه الحال غير صحيحة وحسب بل تقترن عدم صحتها بمناقضتها للواقع أيضا فإذا قلنا:(لو كنت صديقي لساعدتني)، فهذا يفترض بالضرورة أنك لم تكن صديقي، فالافتراض (>>لم تكن صديقي) الملازم للجملة السابقة غير صحيح ومناقض للواقع أيضا. ويمكن أن نوضح أنواع الافتراضات التي أقرها (يول) بالمخطط الآتي:

الشكل1: أنواع الافتراضات التي أقرها (يول)

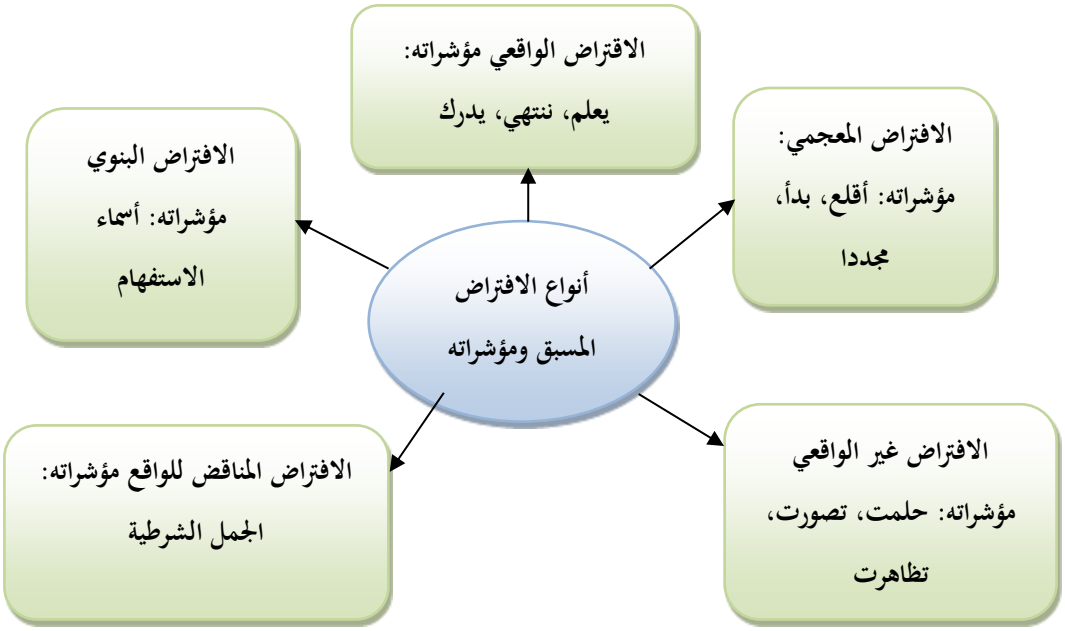

اعتمادا على تفريع (يول) للافتراض المسبق، نقوم الآن بتحليل الخطابات الحوارية الواردة في المقامة الصنعانية للحريري في ظل التقسيم السابق ذكره، بغية الكشف عن المضمر من القول الذي ضمنه الحريري مقامته، ولكن قبل هذا لا بد أن نعرج على مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية المتعلقة بهذا النوع من الأشكال التعبيرية الذي ذاع صيته في القرنين الرابع والخامس هجريين.

4- مفهوم المقامة:

4-1-لغة: يرجع الأصل اللغوي للفظ (المقامة) إلى الجذر الثلاثي (قَامَ) المنقلبة عن الأصل (قَوَمَ)، لأن أصل الألف فيها واوا، وتعني المحافظة والإصلاح، والملازمة، والثبات، والوقوف، وورد اللفظ في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: "وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا"{الكهف:14}، ويقال للماشي قف؛ أي: اثبت مكانك حتى آتيك. والمقام والمقامة: المكان الذي نقيم فيه، والمقامة بالضم الإقامة، وبالفتح المجلس والجماعة من الناس.[11]

4-2-اصطلاحا: يرتبط المدلول الاصطلاح للفظ المقامة بكونها فنا من الفنون الأدبية، شبيهة بالقصة القصيرة تدور أحداثها حول بطل وهمي مكدّ، متسول يروي أخبارا وهمية أساسها الخداع والاحتيال، تحمل داخلها عادة لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية.[12]

5- المقامة الصنعانية:

هي إحدى مقامات الحريري الذي اشتهر بهذا الفن بعد بديع الزمان الهمذاني، وقيل أنه نسج على هذا الفن تأثرا بالبديع، وروي أنه وضع مقاماته (لشرف الدين أبي نصير أنو شروان بن خالد بن محمد القاشاني) وزير المسترشد بالله (1118-1143م)[13]، وكان أول ما وضع من مقاماته "المقامة الحرامية"، ويتمحور موضوع مقاماته حول الاحتيال

بالطرق المتنوعة، والذي انتشر في زمنه باعتباره أحد الطرق المؤدية للكسب وعرف في زمنهم بالكدية والاستعطاء، متخذا في ذلك اسم (الحارث بن همام) راويا لكل مقاماته، وهو اسم خيالي، أما (أبو زيد السروجي)، فقد اتخذه بطلا لها معتبرا إياه أبلغ من (سحبان وائل)، وقد استطاع بفضل هذين الشخصين الوهميين أن يصور لنا مختلف مناحي الحياة الاجتماعية في عصره من جهة، والحياة العلمية والأدبية واللغوية من جهة أخرى، ويمكن اعتماد مقاماته إلى جانب مقامات البديع أساسا للتأريخ لعصر الانحطاط؛ حيث اتسمت الأبحاث اللغوية في ذلك العصر بالمبالغة في الصنعة اللفظية، واستخدام الطباق والجناس، والتسجيع وأنواع الكنايات والتعقيد، وصعوبة الأداء، بل أنهم بالغوا أحيانا في ذكر بعض الاشتقاقات والأبنية الغريبة التي أطلق عليها اسم الأخيف والملمع، وهذا ما جعل المحققون يعتبرون الغرض من المقامة لم يكن جمال القصص، وإنما أريد من خلالها نسج قطعة أدبية فنية تجمع شوارد اللغة، ونوادر التركيب بأسلوب مسجوع[14].

أما تسمية المقامة بالصنعانية فجاء من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؛ حيث أسند فيها الموصوف وهو "المقامة" وهي اسم مكان وهي ما يدور من حديث وسمر في مقام معين، إلى الصفة وهي لفظ "الصنعانية" نسبة إلى صنعاء اليمن، أما دلاليا فتشير التسمية إلى أن النص يحكي لنا أحداثا وقعت في حاضرة صنعاء؛ حيث يبين الحريري على لسان (الحارث بن همام) في بداية المقامة أن الفقر والحاجة هما سببا ارتحال(الحارث بن همام)إلى اليمن، أما في نهايتها فيشير إلى الكشف عن الشخصية الرئيسة (أبو زيد السروجي)، وحيلته التي اتبعها في الاستعطاء والتكدي. وقد غلب على هذه المقامة الألفاظ الغريبة مثل(شَحْثٌ): دقيق ورقيق، و(غُلَّتِي): شدة عطشي، و(غَيُّكَ): ظلمك.[15]

أما من ناحية البنية التركيبية، فقد صبغ الحريري مقامته بالفواصل القصيرة، التي أعطت نفسا للقارئ من أجل التمعن في مفرداتها المعجمة غالبا، فمثلا قول الحريري: (لما اقتعدت غارب الاغتراب. وأنأتني المتربة عن الأتراب، طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن)[16]؛ بمعنى أن الفقر وخطوب وقواذف الزمن هي سبب ارتحاله إلى صنعاء اليمن من أجل البحث عن لقمة العيش، وهذه الجملة المسجوعة تحيلنا إلى جملة من الافتراضات المسبقة الواقعية:

1. (>>أن الحارث بن همام ليس من صنعاء اليمن).
2. (>>الحياة في موطنه حياة بائسة يصبغها الفقر والحرمان).

وهذا ما تؤكده الجمل التي تليها:[17]

1. دخلتها خاوي الوفاض؛ أي فرغ وفاضه من الزاد.
2. بادي الانفاض؛ أي يبدو علي الفقر والحرمان.
3. لا أملك بلغة؛ أي لا أملك ولو اليسير من الزاد.
4. لا أجد في جرابي مضغة؛ أي لا أملك مقدار مضغة من الطعام.

تحيلنا كل الجمل السابقة إلى افتراضات واقعية تصور حال (الحارث بن همام)ونوائب زمانه التي دفعته إلى حط الرحال بصنعاء. وقد غلب على المقامة الصنعانية الافتراض المسبق الواقعي، لأن صاحبها أراد من ورائها تصوير الحياة الاجتماعية في ذلك العصر كما سبق الذكر، غير أن الافتراض البنيوي شغل أيضا حيزا من هذه المقامة،

ويتجلى في جملة المواعظ التي ألقاها(السروجي) على جماعة الحاضرين بالنادي الرحيب، يرشدهم فيها بلغة تشد الآذان، وتستهوي الوجدان، والجمل الآتية دليل ذلك:

الجدول 2: أمثلة عن الافتراض البنوي

الجمل	الصفحة
أ- إلاَمَ تَسْتَمِرُ على غَيِّكَ، وتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِكَ؟	**16**
ب- وحَتَّامَ تَتَنَاهَى في زَهْوِكَ، ولا تَنْتَهِي عن لَهْوَكَ؟	**16**
ج- أَتَظُنُّ أن سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ، إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ؟	**16**
د- أو ينقذك مَعْشَرُك، يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُك؟	**16**

تحيل الجمل السابقة كلها إلى افتراضات بنوية تشغل جزءا من البنى التركيبية السابقة، فمثلا:(>> استمر على غيه، واستمرئ مرعى بغيه) هي الافتراض البنيوي الملازم للجملة (أ)، في حين تكون الجملة:(>>تناهى في زهوه، واستمر في لهوه) هي الافتراض البنيوي الذي تضمنته الجملة(ب)، وقد جاءت مؤشرات هذا النوع واضحة في قالب إرشادي بصيغة الاستفهام؛ ذلك أن البطل كان على دراية بحال أهل اليمن، وما سادها من لهو وابتعاد عن الأمور الدينية وانشغالهم بالأمور الدنيوية، لذلك وجه لهم تلك الأسئلة التي تصور أو تؤكد حال أفراد المجتمع، في قالب إرشادي بصيغة الاستفهام. والجميل في الجمل السّابقة أيضا أنّ أغلبها اشتملت في الآن ذاته على الافتراض المسبق الواقعي، فالجملتين (أ) و(ب)، مثلا تحيلاننا إلى افتراضين واقعيين هما على الترتيب:

أ-(>> استمرّ في غيّه)

ب- (>> مازال مستمرا في زهوه، ولم ينته من لهوه)،

فالأفعال (تستمر، تتناهى ولا تنتهي) التي اشتملت عليها الجملتين مؤشرات هذا النوع من المعلومات التي تحيل إلى أفعال موجودة في الواقع فعلا. وهذا ما ينطبق على البنى (ج، د، هـ، و)، فمثلا إذا أخذنا الجملة (ج) التي تضمنت السؤال: (أتظنّ أن ستنْفعك حالك، إذا آن ارتحالك)، يكون الجملة (>> لن ينفعك حالك، إذا حان ارتحالك) هي الافتراض البنوي والواقعي المقابل لها، لأنّ نفس المرء لا تنفعه إذا حان أجله، وهذا مجسّد في القرآن الكريم. وورد هذا النّوع أيضا من الافتراض، ولكن في هذه الحال سبّق(الحريري) الإجابة عن السؤال كما هو في الجمل الآتيّة:

الجدول3: أمثلة من الافتراضات البنويّة

الافتراض	الإجابة	الصفحة
أمّا الحِمام ميعادك، فما أعدادك؟	**(>>ميعادك الحِمام)**	**18**
بالمشيب إنذارك، فما إعذارك؟	**(>> أنذرك الشيب)**	**18**
- في اللحد مقيلك، فما قيلك؟	**(>> اللحد مكانك)**	**18**

أما بالنسبة للافتراض المعجمي؛ فقد تضمنت المقامة كثيرا من هذا النوع، لأنّ الأقوال التي صرّح بها الحريري، كانت تتضمن معلومات غير المصرّح بها غالبا، فحين يقول الحريري، في الجمل الآتيّة في الجدول:

الجدول4: أمثلة خاصة بالافتراض المعجمي من المقامة

المثال	الصفحة
أ- لبست الخميصة أبغي الخبيصة	**19**
ب-أنشب شصّي في كلّ شيصة	**19**
ج- صيرت وعضي أحبولة	**19**
د- أريغ القنيص بها والقنيصة	**19**

يريد من ورائها معان غير المصرّح بها، فالجملة (أ) مثلا تحيل إلى افتراض معجميّ مفاده أنّ الراوي يخفي الدافع الأساس الذي جعله يحطّ الرحال بصنعاء، لذلك عبّر بالمفردتين، (الخميصة) و(الخبيصة) اللتان تدلان على أنّ البطل ارتدى تلك الملابس، حتى يخفي حقيقته عن النّاس من أجل التكسب والاحتيال، وهذا ما تدعمه الجملة (ب) التي تحيل إلى افتراض معجميّ آخر، مفاده ذكاء هذا البطل الخارق في اصطياد المواقع، والأشخاص حتّي يظللهم بكلماته المسجوعة المؤثرة، وقد عبّر عن ذلك بالمفردتين(أنشب) و(الشيصة)، ليأتي ما يؤكد مبتغاه في الجملة (ج)، التي عبّرت عنه الحمولة الدلاليّة للفظيّة (صيّرت) التي أقرنها بالكلمتين(وعظي) و(أحبولة) لتنفجر الجملة (صيّرت وعظي أحبولة) بدلالة غير الدلالة الحرفيّة، مفادها أنّ (البطل) اتخذ الوعظ والإرشاد طريقة الاستحداء، والتكدي لا طريقا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويحيلنا هذا النوع من الافتراض مباشرة إلى نوع آخر يكاد يكون لصيقا به، وهو الافتراض المناقض للواقع حيث غلب على نهاية المقامة هذا النوع من المعلومات، حيث أخفى السروجي سيرته الحقيقة، وتقنص شخصيّة الواعظ، المرشد، والدليل على ذلك الجملة المركّبة: "هجمت عليه، فوجدته مثافنا لتلميذ، على خبز سميد، وجدي حنيد، وقبالتهما خابية نبيذ"[18].

فهذه الجملة تزخر بالمعلومات التي تناقض ما كان يتظاهر به هذا الرّجل، حيث تقفز بنا من الواقع الذي تبادر إلى مخيّلة السّامع حين سمع كلام (أبو زيد السّروجي) المفعم بالوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الواقع الفعلي الذي اكتشفه الحارث بن همام لما تبعه لمعرفة مربعبه المناقض لما كان يدعو إليه النّاس وهذا ما أكّدته الجملة السّابق وخاصة قوله: "وقبالتهما خابيّة نبيذ" التي جعلت الرّاوي يتعجّب من رؤية عكس ما سمع.

ويمكن أن تختم هذا التحليل بالافتراض المسبق غير الواقعي الذي خلت منه المقامة الصنعانيّة، ولا ريب في ذلك، لأن الهدف من سبك الكلام الوارد فيها كان تصوير الحياة الاجتماعيّة التي سادت ذلك العصر، أين كثر النصب والاحتيال وأصبحا حرفة للتكسب والاستعطاء.

6-خاتمة:

انطلاقا من التحليل السّابق يمكننا أن نخلص إلى جملة من النّتائج نختم بها ورقتنا البحثيّة، نوجزها فيما يلي:

- تعدّ المقامة الصنعانيّة قطعة أدبيّة فنّية غلب عليها غريب اللّفظ، والمحسنات البديعيّة وخاصة السّجع، وهذا ما يجعل تطبيق الآليات الإجرائيّة للافتراض المسبق صعبا نوعا ما، لأنّ الافتراض مبحث تداوليّ حديث وضعت له مؤشرات بلغة عربيّة بسيطة، عكس الألفاظ الغريبة الواردة في المقامة السّابق ذكرها.

- استطعنا من خلال الاستنطاق الخطابات الواردة في المقامة أن نستخرج الافتراضات المسبقة الواقعيّة والمعجميّة والبنويّة، والمناقضة للواقع، ولا ضير في ذلك لأن المقامة الصنعانيّة هي إحدى القطع الفنّية التي أراد من خلالها صاحبها أن يصور حال المجتمع في عصره.

— غلب على المقامة الصنعانيّة الافتراض المسبق الواقعي والبنوي، لغلبة أسلوب الوعظ والإرشاد، الذي اتخذه الحرير على لسان بطله وسيلة للتكدي والتكسب والاستعطاء، والذي جاء بصيغة الاستفهام.

- بالرغم من أنّ الغرض من المقامة كان تصوير الحال الاجتماعيّة الواقعيّة لذلك العصر، إلاّ أنّها اشتملت في نهايتها على الافتراض المناقض للواقع، ولا عجب في ذلك لأن بطلها كان يتصنع شخصيّة المرشد الزاهد، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، غير أنّ واقعه مناقض لذلك، فهو من أصحاب النبيذ، وما يفسر ذلك أنّ (السروجي) جعل الاستعطاء غاية والنصح والإرشاد وسيلة توصله لذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أركيوني كاترين كيريرات،2008، المضمر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1.

2- الباز عباس أحمد، 1978، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت.

3- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللّسانيّات التداوليّة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر.

4- سيرفوني جان، 1998، الملفوظيّة، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا.

5- علوي حافظ إسماعيل، 2011، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن.

6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

7- هاني الجراح عباس، 2014، المقامات العربيّة وآثارها في الآداب العالميّة، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1.

8- يول جورج، 2010، التداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرّباط، ط1.

الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيّات التداوليّة، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ص34.

[2] ينظر: جان سيرفوني، الملفوظيّة، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998، ص53.

[3] ينظر: كاترين كيريرات أركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، ديسمبر 2008م، ص44- 45.

[4] ينظر: جورج يول، التداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2010، ص51.

[5] ينظر: حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص138.

[6] ينظر: جورج يول، التداوليّة، مرجع سابق، ص45.

*>>: تعني الافتراض المسبق.

[7] المرجع نفسه، ص55.

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9] المرجع نفسه، ص56.

[10] المرجع نفسه، ص57.

[11] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص399.

[12] ينظر: عباس هاني الجراح، المقامات العربيّة وآثارها في الآداب العالميّة، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2014، ص12.

[13] ينظر، عباس أحمد الباز، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، 1978، ص5.

[14] ينظر: المصدر نفسه، ص 6-7.

[15] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[16] المصدر نفسه، ص15.

[17] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[18] المصدر نفسه، ص19.